



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN - NAHAR
Date : 7-4-94
Photo No. : 152

فرحة علّها تكبر

لا بد احيانا من العودة الى الحقائق البسيطة، علّها تجلي بعضا من الضباب الذي بات يغطي تصور كل منا لما آل اليه الصراع العربي - الاسرائيلي، وتخفف من الخطابية السائدة في هذا الطرف او ذلك (وربما في هذا الطرف اكثر من ذلك). صحيح انه لم يعد من السهل على العرب ايجاد حقائق بسيطة، حتى صار تحديد الموقف من الصراع والتسوية التي رسمت له اعتباريا الى حد بعيد، يخضع لمزاج الفرد (او الجماعة) اكثر مما يستند الى معطيات قابلة للتحليل. بل صار من الصعب التعرف الى تلك الحقائق، حتى لو وجدت، سواء كان ذلك بدافع سوء النية او من الاحباط او بضغط من العمومية المستشرية في العقول. غير انه يحدث ان تظهر حقائق بسيطة لا يستطيع تجاهلها حتى المحبطين او اصحاب النيات السيئة. من هذه الحقائق ما خرج على الصفحات الاولى في اليومين الاخيرين، من عودة لعدد من المنفيين الفلسطينيين، ومن بداية الانسحاب الاسرائيلي من غزة. بازاء مثل هذه الحقائق، لا بد ان يكون الكلام بالمستوى نفسه من البساطة، ولو بدا افراطا في الدفاع عن "الخيانة العرفاتية". فبالكلام البسيط، نقول ان الاتفاق الذي يسمح بعودة تيسير عروري الى ارضه لا يمكن ان يكون سيئا بالكامل. وباليساطة نفسها، نقول ان مشهد الجنود الاسرائيليين يوضون امتعتهم واسلحتهم تمهيدا للانسحاب من ارض عربية، مهما تكن صغيرة، يخلق في القلب فرحا حقيقيا. فكيف اذا كانت تلك الارض قطعة من فلسطين، اي المدى الذي لم تتوقف الحركة الصهيونية لحظة عن تسجيل انتصاراتها المضطربة فيه. لذلك، يجدر بكل من بقي يعتبر نفسه معنيا بالصراع العربي - الاسرائيلي، ان يتوقف لحظة للفرح والتأمل، قبل ان يعود، اذا شاء، الى المواقف المبدئية.

في طبيعة الحال، لا تلغي مثل هذه الحقائق البسيطة التحفظات التي يمكن ان تثيرها نصوص الاتفاقات الفلسطينية - الاسرائيلية (اوسلو، واشنطن، القاهرة)، كما لا تبعد المخاوف حيال المفاوضات المستمرة في العاصمة المصرية. لكنهما، في المقابل، وربما بسبب بساطتهما، تبين بطلان المنطق التبسيطي السائد، وتجلو الطابع المركب والمعقد الذي يميز الوضع الفلسطيني اليوم. بتعبير آخر، تؤكد هذه الحقائق ان اتفاق اوسلو ليس نصا نهائيا، وانه قابل للتعديل، سلبا (كما حصل في اتفاق القاهرة) او ايجابا (كما يحدث منذ مجزرة الحرم الابراهيمي). بهذا المعنى، يكتسب الشعار القائل بتحسين الاتفاق، وعلى سيئات هذا الاتفاق، اهمية جديدة.

اما وقد بدأ الرئيس ياسر عرفات يعمل من جهته لهذا التحسين، من خلال اختيار العائدين، في شكل يسمح له باعادة تأطير حركة "فتح" وتاليا تأطير جزء من الشارع الفلسطيني بما يتناسب مع رؤيته للمرحلة المقبلة، فإنه يجدر بمعارضيه التخلي، مرة على الأقل، عن المبدئيات العقيمة من أجل المساهمة بدورهم في تحسين الوضع الفلسطيني، ليس لسبب الا لابقاء معارضتهم متناسقة مع متطلبات المرحلة. هذا اذا لم يكن المطلوب ان تكون المؤسسات الفلسطينية التي بدأت عملية بنائها على ارض فلسطين في واد، والمعارضة في واد، فيصبح مصير الشعب الفلسطيني التفتت، وتبدد اهم ما حققه في ثلاثين سنة من انجازات، اي الازادة الوطنية الواحدة.

سمير قصير